قبل أي شيء، لا بد، هنا، من التأكيد ان النتيجة الواضحة التي توصل اليها صبري جريس في تأريخه المعمّق للحركة الصهيونية، وهي القائلة انه «حتى في حالات الضعف التي فرضت على الحركة الصهيونية اتخاذ مواقف سياسية معتدلة، بالمقارنة مع مواقفها السابقة، حافظت الحركة على طلباتها الاساسية، فبقيت متمسكة، مثلاً، بمبدأ أي تجميع أكثرية اليهود في العالم في فلسطين، من جهة، وخلق أكثرية يهودية في البلد، من جهة أخرى. كما لم تؤثر الاتجاهات الجديدة في المواقف الاساسية العقائدية للصهيونية، اذ انحصرت بين الاحزاب أو التيارات الصهيونية المركزية، بالنسبة إلى الموقف من العرب، في مجال التكتيك، لا الاستراتيجية» (**المصدر نفسه**، ص ٢٣١).

فعلى أثر الانتفاضة الفلسطينية سنة ١٩٢٩، بادر حزب مباي بطرح مبدأ التكافؤ أو التعادل (parity) في الحكم، أي تقاسم السلطة بين العرب واليهود في فلسطين، مناصفة فيما بينهم، بغض النظر عن عدد أي منهم؛ وقد عبّر منظرٌ حزب مباي آنذاك، بيرل كاتسنلسون، عن هذا المفهوم بالدعوة إلى اقامة حكمين ذاتيين في فلسطين، لكل من العرب واليهود. وقد أطلق على مشروعه اسم نظام ثنائية القومية «الحقيقي» لتمييزه عن مشروع الدولة ثنائية القومية.

أما دافيد بن ـ غوريون، فقد طرح، في نهايات سنة ١٩٢٩، مشروعاً يدعو إلى قيام «دولة فدرالية» في فلسطين تتشكل من «وحدات قومية» من العرب واليهود، وتعتمد نظام الكانتونات والادارة الذاتية، في اطار مجلس اتحادي فدرالي مؤلف من هيئتين؛ أولاهما مجلس الشعوب، ويمثل فيه العرب واليهود بالتساوي؛ وثانيتهما مجلس السكان، ويضم ممثلي الكانتونات، وفق عدد سكان كل منهما، وينتخب المجلس الاتحادي الحكومة (**المصدر نفسه**، ص ٢٣٣).

وطرح حزب هاشومير هاتسعير الصهيوني، خلال هذه الفترة، مشروع الدولة ثنائية القومية، من العرب واليهود في فلسطين. في حين أوضحت جمعية بريت شالوم انها «تعتبر بلدنا دولة ذات قوميتين، تعيشان فيها بمساواة مطلقة، وتحددان مصيرها كعنصرين متساويين» (**المصدر نفسه**، ص ٢٣٥). وقبيل اقامة الدولة الاسرائيلية تبنّى بن ـ غوريون مشروع الاتحاد الفدرالي، الداعي إلى اقامة دولة يهودية في فلسطين، تكون جزءاً من اتحاد فدرالي يضم المشرق العربي بأسره.

وقد اجتمع بن ـ غوريون وموشي شاريت مع موسى العلمي في العام ١٩٣٠، حيث عرضا حلاً نهائياً للقضية الفلسطينية، على أساس موافقة العرب على اعلان فلسطين دولة يهودية، تكون مرتبطة باتحاد فدرالي عربي، يتعهد الصهيونيون بتأييد اقامته.

وفي العام ١٩٣٤، اجتمع بن ـ غوريون مع عدد من الزعماء العرب، كالأمير شكيب أرسلان واحسان الجابري ورياض الصلح وعوني عبد الهادي، عارضاً مثل هذه الافكار التي رفضت من قبل العرب.

وتعددت المشاريع وتواترت، بحيث انها كانت تعكس، دائماً، قلقاً بنيوياً لدى أصحاب المشروع الصهيوني، محاولين قطع الطريق على رد الفعل الفلسطيني، بالسعي إلى ارضائه، بهذا الشكل أو ذاك؛ وقد استمر هذا السعي حتى هذه اللحظة.

النصوص الجديدة ـ عناصر مشتركة

استناداً إلى الفكرة القائلة انه كلما تحصّن الفلسطينيون خلف مشروعهم الاستقلالي، واقامة دولتهم على أرضهم، وتمتين وحدتهم الداخلية، ودفع مقاومتهم للاحتلال بكل اشكالها إلى أمام، وكلما تعمقوا في ذلك، كلما استدعى ذلك تفكيراً صهيونياً في تقديم التنازلات، أو، على الاقل، حدوث انسلاخات وانقسامات وتفسّخ في بنية الكتلة الصهيونية الضخمة التي تتولى قيادة المشروع الصهيوني وازاحة العقبات من على طريقه.

هذه، بالضبط، هي القيمة الاساس لكل مشروع تطرحه القوى الصهيونية على الفلسطينيين بشأن